مشاركات الشيخ عبد الله المغربي في المدائح النبوية

د . عبد الستار العريفي بشية [1]

في البداية أقدم التحية لهذه المؤسسة الشامخة التي تولي اهتمامها بتسجيل التاريخ الليبي في مختلف أشكاله بإقامة الندوات والمحاضرات في الفنون المختلفة ، كما أحي الجمع الكريم الذي تجشم لحضور هذه الأمسية التي يستعرض فيها حياة رجل عاش زاهدا في دنياه صابرا على بلواه محبا لإخوانه من أهل الحق والدين والهدى ، وما كان لي أن أتأخر عن المشاركة في التعريف بجانب من جوانب هذه الشخصية الطيبة طيب الله ثراها ، وقد اخترت جانبا عرف به الشيخ الفقيد منذ نعومة أظفاره وواكبه حتى آخر عمره وهو جانب المدائح النبوية والذي تعرفت من خلاله بالفقيد وكان ذلك مع بداية الثمانينيات في زوايا طرابلس بالزاوية الكبيرة ، والعمروص، وسيدي المصري ، والقادرية ، ومسجد سيدي سالم المشاط ، وغيرها في المناسبات الدينية والاجتماعية ، ثم ارتبطت علاقتي به حيث كان من أصدقاء والدي الحاج العريفي سالم بشية ، وعمي الحاج أونيس بشية ؛ لأنهم أبناء منطقة سوق الجمعة ، وهكذا تزداد العلاقة فكنت أزوره في بيته ، وأشاركه أفراحه وأتراحه ؛ وهو كذلك .

---

[1] عبد الستار العريفي بشية من مواليد سنة 1967 ، تحصل على ليسانس اللغة العربية وآدابها سنة 1991 . 1992 من جامعة ناصر ، تحصل على درجة الماجستير في الأدب العربي من كلية الآداب جامعة الفاتح سنة 2000 ونال الدكتوراه من كلية العلوم . جامعة المنيا . بعنوان " نفح الطيب مصدرا أدبيا " . وله مشاركات في ندوات مركز الجهاد ، وأنشطة الزوايا العيساوية في مجال (المالوف) ، وقد تم طبع رسالته التي نال بها الماجستير في فن المالوف .

وفي هذه العجالة أتحدث عن جانب فني في هذه الشخصية من خلال مشاركته في قراءة قصة المولد النبوي الشريف في الزوايا الصوفية والأفراح .

لقد كان الفقيد رحمه الله ذا صوت شجي جميل يشنف الآذان ، ويطرب النفوس المشتاقة ، والمحبة لسماع الأناشيد والابتهالات ؛ فكان مقدما لقراءة القصة لإتقانه قراءة النص ، والمقام الموسيقي ، وله تسجيلات في مناسبات عديدة ، كما كان من المواظبين على حضور قراءة قصة ريحانة الأرواح في مولد خير الملاح التي ألفها الشيخ علي أمين سيالة ؛ وهي قصة مولد تقرأ ليلة المولد النبوي بمسجد الناقه ، ثم يخرج للمشاركة في الزاوية الكبيرة

ويتجه قبل أذان الفجر لمسجد سيدي سالم المشاط بباب البحر لإقامة الاحتفال الخاص بهذا المسجد مع ثلة من فضلاء القوم أمثال الشيخ العارف الصادق زغوان ، والشيخ مفتاح اشتيله والشيخ عبد الباسط الصادق بن منصور ، الشيخ سالم العنقودي ، وغيرهم الكثيرين من أهل المدائح والصالحين ولا يمكن حصرهم . وهي عادة قد دأب عليها منذ صغره فقد كان ملازما لوالده الشيخ إبراهيم المغربي ، الذي كان مواظبا على حضور هذه المجالس.

فيبتدئ الحضور بالقصائد والمدائح المختلفة ثم صلاة الفجر ، وقراءة الوظائف ، وقصيدة البردة ، وقراءة قصة المولد النبوي كاملة ، وقال لي ذات مرة : ليس هناك فائدة إن لم تقرأ القصة كاملة.

أما جانب الأناشيد الدينية والمدائح النبوية فكانت له فيه مشاركة جيدة فهو ممن يحفظ الأناشيد والقصائد ويجيد المقامات الموسيقية التي تؤدى بها ؛ و يصل إلى درجة الإبداع فيها خصوصا إذا ما ترنم في مقام (حجازكاركرد) وكم أطربنا بأبيات أبي نواس في التوبة والرجوع إلى الله التي نصها :

ربي إن عظمـــت ذنوبي كثرة فلقد علمت أن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محـــسن فبمن يلوذ ويستجير المجـرم

دعوتك ربي كما أمـــرت تضرعا فإن رددت فمـن ذا يرحـم

مـالي إليك وسيلة إلا الـرجاء وجميل عفوك ثـم إني مسلم

وكم أطربنا وامتعنا بقول بيتى الأعرابي المكتوبين على الروضة الشريفة وهما :

يا خير من دفنت في الترب أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت سـاكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ومما تميز به الفقيد في الأناشيد موافقة المقال للحال في القصة ، أو المناسبة فكان يقترح على العريس إذا كان من المنشدين قول الشاعر :

أنزل على قلبي المسرة والفرح يا من لصدر المصطفى الهادي شرح

يا من له حسن العوائد والذي يهب الجميل ومنه تأتينا المنح

فذلك الذوق الرفيع ؛ إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على رجاحة عقله ورفعة ذوقه الفني ، وكما يقولون إن الاختيار السليم قطعة من العقل .

لقد كان الفقيد رحمه الله مواكبا باحثا عن ما لا يعرفه بتواضع فلقد أرسل إليَّ مع أكثر من شخص ليخبرني بأنه يبحث عن قصيدة الشيخ عليش[1] رحمه الله وهي خماسية ، ويقول مطلعها : [2]

الزم باب ربك واترك كل دون واسأله السلامة من دار الفتون

لا يضيق صدرك فالحادث يهون الله المقدر والعالم شئون

لا تكثر همك ما قُدِّرْ يكون

فلما بلغني ذلك قمت بتصويرها من سفينة الأفراح للشيخ جمال الدين الميلادي ، وذهبت بها فلما رآها أمامه فرح بها أيما فرح ، وشكر لي هذا الصنيع ، وقام يرددها ، ويتأمل معانيها في مقام (الحجاز) على نغمة قصيدة (ابدأ باسم الله أول الكلام) ، وقد أخبرته بأن الأستاذ عبد الرحمن قنيوه قد لحنها في مقام الجهاركاه ، وقمت بأداء بعض أبياتها فأعجب بذلك اللحن ، ثم بقيت الورقة أمامه ، وهو يقرأ ويكرر ما يعجبه من كلماتها بقوله الله الله ، وكان هذه القصيدة نعي له فما هي إلا أربعة أيام أو خمسة ، عندما ذهبت لزيارته ففوجئت بالخبر أنه نقل إلى المستشفى (مركز طرابلس الطبي) في حالة خطرة فتألمت لذلك ألما شديدا .

[1] من كبار علماء المالكية بالأزهر الشريف ، وله فتاوي وتصانيف رائعة

[2] انظر

ذلك جانب من حياة رجل أحب الله فحفظ كلامه ، وأحب نبيه وآله ، وما جزاء المحبين إلا أن يحبوا ، فقد قال عليه الصلاة والسلام ((يُحشر المرء مع من أحب)) نسأل الله أن يجعلنا منهم ، كما آمل أنني قد وفيت بعض حقه في هذا المجال .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته